القومية والدين

كانت العروبة ولم يكن اسلام ولا مسيحية

●

حينما انشأ العرب، مُلكاً ، وشادوا حضارة، لم يكن البشر يعرفون امة واحدة ؛ من هذه الامم المتحضرة المتمدنة ؛ القابضة على زمام الامر اليوم ؛ والمستعلية على العرب عنوة واقتدارا . فقد أنشأ العرب ملكاً وشادوا حضارة وسنوا قوانين، وتفننوا في اساليب التمدين والعمران منذ الوف السنين .

ولا نتكلم الان ، الا على العرب الذين عرفهم العالم بهذا الاسم ، كما يعرف العرب اليوم ؛ والذين ثبت علمياً — بواسطة ما كشفته اعمال التنقيب من آثار في « العربية السعيدة » اليمن، وفي غيرها — انهم عرب لا مجال للتأول في عروبتهم ، من ناحية النسب والخصائص؛ ولا من أية ناحية من النواحي . نتكلم على هؤلاء فقط الان ؛ وندع جانباً ما يقوله كثير من

المؤرخين، من ان دولة « حمورابي » نفسها دولة عربية . ودولة حمورابي هذه قامت في بابل – العراق – في القرن الخامس والعشرين قبل المسيح ؛ اي منذ ما يقرب من ٤٥٠٠ سنة . ندع هذه الدولة جانباً ونتكلم على الدول المجمع على عروبتها إجماعاً .. والتي أنشأها العرب منذ ما يقرب من ٣٠٠٠ سنة ؛ لنسأل بعض النـــاس ، ومن بينهم من هم عرب ، أين كانت النصرانية ، وأين كان الاسلام، يومذاك ؟!

أفلا يحمل هذا هؤلاء الناس ، على الايمان بان العروبة شيء غير الدين [1] وانها خارجة عن نطاق المسيحية والاسلام [2] لانها

---

(١) العروبة هي نفسها دين عندنا نحن « العرب القوميين » ولكنها دين قومي محض . الجنة ، التي يعد بها المؤمنين الابرار ، تقوم في هذه الحيـاة الدنيا . وجهنم، التي يحذر منها المنافقين المارقين تقوم كذلك في هذه الحيـاة الدنيا . مع دعوتها – اي العروبة – الى اسمى ما في الاديان السماوية من اخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات .

(٢) نستطيع القول ان الاسلام عربي دون ان نخطيء . ولكننا نخطيء، اذا نحن قلنا ان العروبة هي الاسلام . فالدين الاسلامي دين عربي ، وفي رأينا انه يصعب جدا ان يكون مسلم غير عربي ، مسلما كما اراد الاسلام ورسوله ان يكون ، لمجرد انه ولد من ابوين مسلمين، بل ينبغي له ليكون كذلك، مع ما ينبغي ، ان يصير عربيا بلسانه وثقافته وميوله . وكان المصلح الاعظم يقول : (من احب العرب فقد احبني) وكان يقول : انا عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي . ولم يقل فارسي او تركي او اوردو او سنسكريتي بينما ليس من الضروري ابدا ان يكون احدنا مسلما ليكون عربيا . وقـد

وُجدت قبل الاسلام والمسيحية ، وتجمع في حضنها مسيحيين ومسلمين . نقول هذا ونحن ما نستطيع ان ننكر ما لوحدة الدين في امة واحدة ، مستكملة عناصر القومية ، من تأثير في عدم تصديع الصفوف في هذه الامة . فانه يكفي ان تسدّ هذه الوحدة منفذاً من المنافذ التي يتسلل منها الاجنبي ليبذر بذور الفساد والشقاق بين ابناء الامة الواحدة ، فيجعل منها معسكرين مختلفين ، فيضعفها ويتحكم فيها ويُذلها ، لا سيما اذا كان « الوعي القومي » في الامة ناقصاً .

أما أن تكون وحدة الدين شرطاً في وحدة القومية ، فهذا ما لا نفهمه ولا نستطيع ان نُقره . بل ان هذا لينافي تماماً العقل والعلم ، حتى والطبيعة النفسية . لقد وُجد البشر قبل ان وجدت الأديان . وقبل الاديان وجدت العائلة ، فهل أن اخوة في عائلة من العائلات ، يمتنع عليهم طبيعة أو عقلا او علماً ان يلبي فريق منهم دعوة دين ، ويلبي الفريق الآخر ، دعوة دين غيره ؟!.

يكون من ناحية ان الاسلام دين عربي ، جاء الوهم بان الذين يدينون بالاسلام من العرب هم وحدهم عرب . وهذا خطأ واضح جدا وقبيح ، استغله ويستغله الاجانب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، ليفرّقوا بين العرب مسلمهم ومسيحيهم ، وليبذروا فيهم بذور البغض والعداء ، فيغلبوهم على امرهم ، ويجعلوا منهم ومن بلادهم جسرا يعبرون عليه الى اغراضهم ومآربهم ، كما هو الواقع اليوم ومنذ مئات من السنين . أوَ لم يئن للعرب ان يدركوا هذه الحقائق ؟!

وهل انه من المفروض أن يدينوا جميعاً بدين واحد لكي نسلّم بانهم عائلة واحدة ؟!.

ولكنه من المفروض ، ومن المحتوم ان يخلصوا جميعاً هذه العائلة . إذن فان مايزعمونه من ان اختلاف الاديان في العائلة العربية الكبرى (الامة العربية) ، يمنع ان تكون امة واحدة ، وان تؤلف كياناً واحداً ، شيء مخالف للعقل والعلم . وما هذا الذي يبعث هذا الزعم ، سوى شيء طارىء خلقته السياسات الاجنبية والنزعات الشعوبية وامور اخرى ... تساعدها شرذمة من رجال الدين النفعيين في غفلة من الزمن ، او قل في غفلة من الامة نفسها . وفي حالة تفسخ هذه الامة وجهلها وضعفها . وقد انقضى هذا العهد او كاد ، ولن يعود . واذا كان في البلاد العربية فريق من الناس قليل ، لا نستطيع الا أن نحسبهم عربا بالنظر الى لغتهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ومع ذلك فهم يقاومون « قضية العرب » ويتنكرون للعروبة ، فلا يندمجون فيها ، فليس مردّ ذلك إلى انهم يدينون بالمسيحية أو بغيرها . كلا . بل مرد ذلك الى انهم كما يقولون هم انفسهم من عنصر غير عربي [1] ، فمسيحيتهم في الاصل حينما يكونون مسيحيين ، براء من هذا ، بدليل ان المسيحيين العرب المقتنعين بعروبتهم ، لا يرون بينهم وبين المسلمين العرب ، اي فرق في

(١) هذا اذا صح ما يقولون ... ولعل « المرد » الاول ، هو دسائس الاجنبي .

القومية. فهم يندمجون في العروبة اندماج افراد العائلة الواحدة، يعتبرون نفوسهم — كما هم في الواقع — اخوة لبقية افراد العائلة العربية . دانوا بهذا الدين ، ودان بقية أفراد العائلة بدين آخر، من دون ان يجعلهم هذا ، عائلتين متباينتين مختلفتين . وان هذا وحده ليعجز في الواقـــع، عن ان يجعلهم كذلك ، لأن الامر يمتنع طبيعياً ، وليس فقط عقلياً وعلمياً . كما يمتنع ان تكون أمتان من عنصرين مختلفين ، أمة واحدة ، وإن دانتا بـــدين واحد [1] .

---

(١) مثال ذلك الامة الانكليزية والامة الروسية، فهما من عنصرين مختلفين يمتنع عليهما ان تكونا امة واحدة ، مع انهما تدينان بدين واحد ، والامثلة على هذا في الشرق وفي الغرب كثيرة جدا ، لا يصعب على القارىء ادراكها .

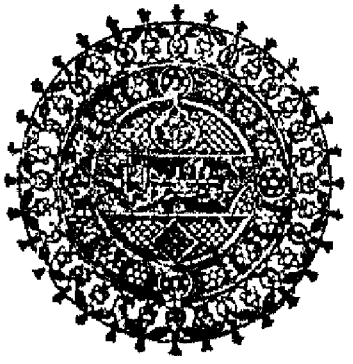

من هم العرب ؟

●

يقول[1] الاستاذ « هوغارت »: ان العرب استمالوا الى لغتهم وآدابهم ، حتى وطبعوا بسحنتهم الطبيعية من الاجانب ، اكثر من أي قوم آخرين قبلهم وبعدهم ، من دون استثناء أحد ، حتى ولا اليونان والانكلوسكسون ، أي ان العرب كانوا انجح المستعمرين[2] على الاطلاق. وهذا ما يقوله الاستاذ « كوك » ايضاً . ويقول الدكتور « فيليب حتى »: انه لم تساهم امة في ميدان التقدم البشري في القرون الوسطى كما ساهم العرب . كذلك

---

(١) نأخذ هذا الفصل من احدى المحاضرات العلمية التاريخية التي كان يلقيها « حزب عصبة العمل القومي » في بيروت سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨

(٢) يجب ان لا يُفهم من كلمة « المستعمرين » هذه ما يُفهم منها اليوم . فالعرب كانوا ينشرون العلم والعمران والعدل والرخاء ومكارم الاخلاق ، في كل بلاد يفتحونها ويمدون سلطتهم عليها . وكانوا لا يفرقون بين ابنائها ، ولا يميزون فريقاً على فريق منهم ، لاغراض ومآرب ، ولا يعملون الا للحق . ومن هنا جاءت كلمة الفيلسوف الفرنسي « غوستاف ده لوبون » : ما عرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب .

رأينا ان العرب كانوا عسكريا أعظم الفاتحين .

وإن لغة العرب ما تزال حتى اليوم ،لغة التخاطب والتدوين لنحو سبعين مليونا من البشر، كما انها كانت طوال مدة القرون الوسطى ، لغة العلم والثقافة والفكر ، في العالم المتمـــدن . وما تزال اللغات الاوربية الحية ، تحمل طابع اللغة العربية ، في كثير من الكلمات والاسماء . اذن ، فقـد كان العرب أعظم الفاتحين وأعدلهم وأرحمهم ، وقد حملوا مشعال العلم والثقافـة والتمدن قروناً طويلة [1] ثم هم لا يزالون رغم النكبات والمصائب المختلفة ، امة حية كريمة . فمن هم العرب ؟ وما هي مواطنهم

---

(١) الكلام هنا على العرب بعد الفتح العربي الاخير الشامل ، الذي اول ما وقع ٦٣٥ م . في بر الشام « موقعة اليرموك » . ثم سنة ٦٣٧ في العراق العجمي « موقعة المدائن » . ثم سنة ٦٤١ فتح مصر . ثم تتالت الفتوح،ففتح الجيش العربي ، افريقية الشمالية ثم اسبانية ، ومها بدأ الفتح في بقية اوروبة . ونذكر لهذه المناسبة وبصورة مجملة ، اشهر القواد الذين اشتركوا في فتح هذه البلدان وهم : « خالد بن الوليد ، ابو عبيدة الجراح ، عاصم التميمي ، الاحنف بن قيس التيمي ، المثنى بن حارثة الشيباني ، سعد بن ابي وقـاص ، حذيفة بن اليمان ، ميسرة بن مسروق العبسي ، النعمان بن مقرن ، مجاشع بن مسعود ، عتبة بن ابي وقاص ، شرحبيل بن حسنة ، عمرو بن العاص ، يزيد بن ابي سفيان ، عقبة بن نافع، حسان بن النعمان ، موسى بن نصير ، طارق بن زياد . ويحضرنا من اسماء النساء اللواتي اشتركن في الفتح ، خولة بنت الازور في اليرموك ، واروى بنت الحارث في القادسية .

الاصلية .. وسيرتهم الاولى . وما هي تلك القوى التي تفجرت مع الفتح ، فانارت سبل العالم حينـــاً من الدهر طويلا ، ثم عادت الى الركود ، ثم عادت الى الظهور والحركة مع نهضة القرن العشرين ؟!

هذا ما سنحاول الاجابة عنه ، مستندين إلى أوثق المصادر . لا نقول إلا الصدق . ولا نتوخى الا الحقيقة .

ان كلمة « ساميون » جاءت من التوراة نسبة الى سام بن نوح . ولقد ورد في التوراة ما يدل على ان الشعوب التي عرفت بـ « السامية » هي من نسله . وعليه فهم عرق واحد من عروق البشر . على انه وان بقي الاسم ملازماً لهذه الشعوب ، فـان تفسير التوراة لاصل الشعوب السامية لم يبق مقبولا في الاوساط العلمية . فمن هم الساميون اذن ؟

لقد استنتج العلماء من دروسهم اللغات الساميـة في القرن التاسع عشر ، ان هذه اللغات : لغات البابليين والاشوريين ، والكلدانيين والعموريين والعرب ، متشابهة في الفاظها وتراكيبها ، وانها من اصل واحد يسمونه اللغة الساميـــة . ولم يصلوا الى اكثر من ذلك حتى الان . ثم اختلف العلماء في موطن الساميين الاصلي ، وجاؤا بنظريات عديدة في الموضوع ، على ان النظرية المقبولة الآن ، هي : ان الجزيرة العربية هي مهد الساميين الاصلي . منها تدفقوا موجات الى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، والى ساحل البحر الاحمر الغربي .

ان اول هجرة من الجزيرة العربية ، حدثت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، واتخذت طريقها على ساحل البحر الاحمر ، فحول شبه جزيرة سيناء فـ «سورية»، فـ «مصر». وفي الوقت نفسه تقريباً، تدفقت من الجزيرة موجة اخرى على الشاطيء الشرقي، الى وادي الفرات ودجلة . وفي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد قذفت الجزيرة بموجة جديدة من البدو ، اولئك هم العموريون ، ومنهم الكنعانيون والفينيقيون. وبين سنة ١٥٠٠ الى ١٢٠٠ قبل الميلاد ، تسلل اليهود الى فلسطين ، وبقي في الجزيرة من بقي من العرق السامي وخضع لمؤثراتها ، مئات اخرى من السنين ، كما خضع الذين نزحوا عن الجزيرة لمؤثرات غير تلك . فوضحت الفروق بينهم وبين المقيمين في الجزيرة ، واصبح هؤلاء يؤلفون أمة فيها عوامل الوحدة واضحة. وهؤلاء هم « العرب » .

ثم اخذ هؤلاء العرب يطلعون على العالم بمميزاتهم الخاصة ، منذ سنة ٥٠٠ قبل المسيح . فحوالي السنة الخمسماية قبل المسيح، ظهر الانباط العرب في « البطراء » — شرق الاردن — وانشأوا فيها حضارتهم . وقبل ان ابدأ الحديث عن المدنية العربية الاولى ، أود ان أتساءل معكم لماذا سُمي العرب عرباً ؟

يقول الاستاذ « ولنغسون » أن كلمة عرب، كانت مستعملة لتدل على أهل « العربة » ، أي الصحراء . وان كلمتي: عبري

وعربي مشتقتان من ثلاثي واحد هو « عَبَر » الذي معنـــاه : رحل من مكان الى مكان . وقطع مرحلة من الطريق . وهناك اقوال اخرى ، هذا القول اقربها الى العقل والمنطق حتى الان .

إذن ، فصفة التنقل في البادية ، او «العربة» وهي الصحراء ، والرحيل من مكان الى مكان في طلب الماء والكلأ ، هي التي اشتُق منها اسم « العرب » بالنظر الى معنى كلمة « عربة » في لغتهم وكلمة « عبر » .

مركز الحضارة

تُعد بلاد العرب الجنوبية ، من اقدم مراكز الحضارة عنـد الامم السامية ، إذ كان موقع بـلاد اليمن الجغرافي ، من أهم الاسباب التي أدت الى نشوء الحضارة في ربوعها ، قبل ان يظهر لها أثر ، في المناطق الشمالية ، من الجزيرة العربية .

ان اليمن بهضابها الكثيرة ، وجبالها العالية ، وسهولهـا الفسيحة ، تعتبر من أخصب بقاع الارض . هذا مع قربهـا من البحر وموقعها على طريق الهند . وكان هـــذا من أهم عوامل نهضتها الاولى . ومع انه قام في اليمن ، كما سترى ، دول عربية ذات حول وطول ، الا ان حضارتها لم تكن حربية في الاساس ، كحضارة وارثيها من الدول العربية بعد الرسالة ، اي بعـــد القرن السابع للميلاد . ويُسمي الدكتور «حتي» العرب اليمنيين : (فينيقي البحر الجنوبي). فهم قـــد رسموا خرائط هـــذا

البحر ، وبيّنوا مسالكه ، وتحكموا في رياحه ، وسيطروا على تجارته ، في الالف والخمسماية سنة قبل المسيح [1] ؟

كذلك انشأوا طرقاً برية للقوافـــل ، من حضرموت الى مأرب ، ومنهـا الى مكة والبطراء ، ثم الى « سورية » ومصر والعراق .

اللغة العربية الحميرية

وقبل ان احدثكم عن الدول العربية اليمنية وحضارتها ، اريد ان ابين لكم ، ان لغة هذه الشعوب العربية ، كانت اللغة الحميرية ، اي اللهجة العربية الجنوبية . وقد كان لهم تسعـــة وعشرون حرفاً من حروف الهجاء. ويعتقد الدكتور « فيليب حتي » ان هذه الابجدية ، تؤلف الحلقة بين الحروف العربيـة القديمة وبين الابجدية التي سُمّيت بالابجدية الفينيقية . واحرف هذه الابجدية هي مـــا يعرف بـ (المُسند) . أي ان العرب الحميريين كانت لهم حروف للكتابة . اخذهـــا عنهم العرب الفينيقيون ورقّوها . وقد وجدت كتابات كثيرة في اليمن انارت سُبل المؤرخين لمعرفة احوال ذلك الزمان البعيد . ومما لا شك فيه ، ان آثاراً كثيرة ، ناطقة بحضارة العرب في تلك العصور ، ما تزال تحت الرمال ، تنتظر أعمال التنقيب .

---

(١) اليس في هذا مفخرة من مفاخر العرب . الا تتناول هذه المفخرة العرب جميعا ، الذين يدينون منهم بالاسلام وبالمسيحية ، على السواء ؟!

أعود الى اللهجة الحميرية فأقول ، ان في القرون القريبة من الفتح العربي اخذت اللهجات الشمالية ، تتمتع بقوة وعزة ، بينما اخذت اللهجات الجنوبية تتدهور . وكان ذلك لفقدان بلاد اليمن حريتها واستقلالها ، فتدهورت حضارتهـــا وانحطت . وتبعتها اللهجة حتى زالت . وحلت محلها العربية الشمالية ، التي كانت بدأت تفيض فتوّة وقوة .

الدولة المعينية

إن اقدم دولة عربية ، اظهرتها الابحـــاث العلمية ، في الآثار الباقيـــة ، وكتابات المؤرخين القدماء ، هي الدولة المعينية ، التي ازدهرت وقويت شوكتها في اليمن بين السنة ٦٥٠ ق. م ، والسنة ١٣٠ . وقد سيطرت في أيام عزهـــا ، على معظم الجزيرة العربية . وكان لها « مستعمرات » في أطراف البلدان المجاورة ، أهمها بلد ما تزال تحمل اسم المعينيين مُحرّفاً ، وهي معان المصرية ، أو القسم الجنوبي من معان المعروفة اليوم . وحفظت الاثار أيضاً ، أخبار ممتلكات معينية سبائية في وادي الفرات ، وما تزال « معين » ، حتى اليوم ، تحمل اسم المملكة التي كانت هذه البلدة عاصمتها . وقد تمكن الاستاذ « موللر » من معرفة اسمـــاء ستة وعشرين ملكا ، من ملوك « معين » واستنتج ، من وحدة اللفظ ، وتكرر بعض الاسماء ، ان نظام الملك كان وراثياً ، عند اجدادنا المعينيين .

وقبـــل أن تزول دولة المعينيين ، نهضت الدولة السبائية بجوارها، على انه لم تنقضِ ،ثلاثة قرون، حتى اصبح السبائيون ورثة المعينيين . فبسطوا نفوذهم وسلطتهم على جنوبي الجزيرة العربية وحكموهـا . وكانت « مراوح » – واسمها الحديث « خَرِبَة » – وهي تبعد مسافة يوم عن مأرب الى الغرب ، عاصمة السبائيين ، في الثلاثماية سنـة الاولى ، من حكمهم ، ثم اتخذوا مأرب قاعدة لملكهم .

ومدينة « مأرب » هذه التي اشتهرت ، بسدها العظيم ،تعلو ٣٩٠٠ قدم عن سطح البحر . وقد كانت ملتقى طرق التجارة، بين الشرق والغرب .

الدولة الحِمْيَرية الاولى

وبعد سنة ١١٥ قبل الميلاد ، نرى لقب ملوك سبأ، يصبح ، « ملوك سبا وريدان » . وريدان هـذه ، التي عُرفت فيما بعد باسم « ظِفار » ، كانت مقاطعة عـلى ساحل البحر . وهنا يبدأ عهد المملكة الحِمْيرية الاولى ، التي دامت ، حتى سنة ٣٠٠ بعد المسيح . وقد اتخذ الحِميريون ، الذين لا يختلفون بشيء هام عن ابناء جنسهم المتقدمين : السبأيين والمعينيين « ظفار » هذه ، عاصمة لهم . ومما يستحق الذكر ، انه في هـذا الدور ، توغل القائد الروماني « اليوس غاليوس » عـلى رأس جيش روماني

ـ سنة ٤٢ ق.م. ـ ليُخضع اليمن ، ويسيطر على تجارتها ، لكنه لم يوفق الى شيء من هذا ، وعاد فاشلا ببقايا جيشه الى مصر . وكانت هـذه اول حملة واخر حملة عسكرية تجرأ الاجانب ان يسيّروها على الجزيرة العربيه .

وفي هذا الدور ، عبر العرب الى ارض « كوش » حيث وضعوا أسسَ المملكة الحبشية ، وانشأوا تلك الحضارة ، التي لم تكن لتقوم لولاهم في الحبشة . وكانت عـاصمتهم الاولى « اكسيوم » نواة المدنية الحبشية الاولى . وقد بنى ملوك حِمَير ما خلد اسمهم ، كما فعل السبأيون من قبلهم . من ذلك : « قصر غمدان » . وقد بُني في القرن الاول للميـلاد ، وبقي قائماً ما لا يقل عن ٦٠٠ سنة ، وشاهد الهمذاني بقاياه ، وقال في وصفه له : انه كان عشرين سقفاً [١] . أي طبقة ، بين كل طبقة وطبقة عشرة اذرع . وقد بُني من شتى انواع الحجارة الجميلة الصلبة ، وحوى كثيراً من ايات الزخرف والفن .

---

(١) عشرون طبقة ، كل طبقة عشرة اذرع . اي انه يتألف علوه من مايتي ذراع . ومنذ ١٩٠٠ سنة . اليست هذه حضارة . اليس هـذا عمرانًا . . . الا يفاخر بعض الامم اليوم بمثل هذا : بناطحات السحاب مثـلا ، في اميركا وغيرها ، بينما اجدادنا خلقوا هذه الحضارة منذ ١٩٠٠ سنة كما رأيت . فهلا يبعث هذا وغيره من مثله ، في نفوس العرب اليوم ، ثورة تدفعهم الى معالجـة حاضرهم ، واعداد مستقبلهم ، لتتجانس الحلقات في سلسلة حياتهم وتنسجم ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا . . .

على انه في خلال القرن الاول بعد المسيح . أخـــذت الاحوال الخارجية تتبدل بشكل ، ادّى في النهاية ، الى تقهقر الاصقاع العربية الجنوبيـة . فان العرب اليمنيين ، كانوا كما ذكرنا ، قد سيطروا على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، يفرضون رسوم المرور عـــلى البضائع الاجنبية ، ويبيعون حاصلات بلادهم باغلى الاثمان . وكان العرب في البطراء ، وفي تدمر ، وفي العراق ، يشاركون العرب اليمانيين في التحكم ، في التجارة الشرقية ، حتى سقطت مصر بيد الرومان ، الذين تبعوا البطالسة : اسلافهم في حكم مصر ، في سياسة المحاربـــة لاستئثار العرب بطرق التجارة . وكان « بطليموس » الثاني ، قد اعاد فتح القنال القديمة ، بين النيل والبحر الاحمر ، واتم الرومان العمل ،بان تجرأوا على البحر الاحمر ، يساعدهم الاحباش ، حتى تمكنوا من الوصول الى الاوقيانوس الهنـدي ، فسقطت اليمن والبطراء وتدمر من أوج مجـــدها الاقتصادي ، وتبع السقوط الاقتصادي التدهور السياسي .

ونحو السنة الثلاثمائة بعد المسيح ، نرى نعت الملك الحِمْيَري أصبح (ملك سبأ وريدان وحضرموت واليمامة وعرب الجبال وتهامة) ، وهنا يبدأ عهد المملكة الحميرية الثانية .

الدولة الحميرية الثالثة

اذا استثنينا الفترة القصيرة ، التي مدّت فيها الحبشة حكمها

على اليمن ، نستطيع ان نقرر ، ان ملوك العرب من حمير — وكان لقب الملك منهم تبّع — ظلوا ملوك البلاد التي ذكرناها قبلا ، حتى حوالي سنة ٥٢٥ ب . م. ويعرف الان اسماء تسعة من ملوكهم ، وقد ورد ذكر بعضهم كثيراً في اخبار العرب واشعارهم . ومن المهم في هذا العهد ، انه لا ينقضي الا ونرى اليهودية والمسيحية قد دخلتا الجزيرة العربية . ونجد آخر ملوك حِمير : ذا نواس ، يهودياً .

دخل الدين — والدين آفته رجاله — فانقسم عرب اليمن ، الى يهود ونصارى ، وكان ان تأثر ذو نواس ، آخر التبابعة ، بخضوع نصارى نجران ، وهم عرب ، لنفوذ الاحباش ، فدبّر لهم مذبحة في تشرين الاول سنة ٥٢٣ ، فتنادى النصارى الى الانتقام ، وبامر امبراطور بيزنطية ، عبر سبعون الفـــاً من الاحباش النصارى الى اليمن ، فأفسدوا بقيادة «ابرهة» المشهور على اليمن استقلالها . وتحكموا بأهلها جميعاً من يهود ونصارى ، بعد ان كان المزعوم انهم جاؤا لمساعدة النصارى والانتقام لهم!

و « ابرهة » هذا ، هو الذي قاد الاحباش في حملتـــه على مكة عام الفيل ، في القرن السادس بعد المسيح ، ففشل ، ونزل بجيشه خسائر كثيرة ارغمته على الارتداد عنها .

وفي هذا الدور ، تهدم سد مأرب ، ولم تكن المرة الاولى التي تهدم فيها السد ، ولكنه كان كلما تهدم منه شيء يرمم . أما هذه المرة ، في دور ابرهة الحبشي ، فلم يكن بالامكان ترميمه ،

فبقي مهدماً. ومما يذكر، ان بني غسان واللخميين هجروا اليمن الى حوران والحيرة ، بعد حدوث الثغرة الاولى في السد . وكذلك فعل بنو طي ، والتنوخيون وكندة ، وكثير غيرهم من عرب اليمن .

وبقيت الاحباش سلطة على اليمن ، حتى ثارت النخوة العربية في رأس سيف بن ذي يزن ، فقاتلهم، ثم استعان بالفرس فأعانوه ، وطرد الاحباش من وطنه ، على ان هذه الحركة « الوطنية » لم تثمر بالنتيجة ، اكثر من ان بدّلت بالاحباش الفرس ، الذين اختلسوا باساليبهم ، الحكم من أيدي العرب اليمنيين، وظلوا فيه حتى ظهور الدين العربي الجديد ، ودخول البلاد في قبضة عرب الشمال ، في القرن السابع بعد المسيح .

— انتهى ما أخذناه من محاضرة « حزب عصبة العمل القومي » —

لقد قلنا فيما سبق ، اننا لا نضع في كتابنا هذا تاريخاً للعرب او لقضيتهم ، وإنما نعرّف «قضية العرب» تعريفاً ، لتصبح واضحة مفهومة تماماً ، لدى الجميع ، فاذا ما عرضنا للتاريخ في بعض الصفحات ، فانما يكون ذلك لما لهذه القضية من علاقة بالتاريخ تساعد على ايضاحنا حقيقتها . وافهامنا الجميع كنه جوهرها . وانها قضية المسيحيين العرب ، كما هي قضية المسلمين العرب سواء بسواء . لان العروبة كما قدّمنا ، وكما يتبين دون أي خفاء ، من هذا الفصل ، هي طابع لنا جميعاً ، وهي بهذه الصفة قائمة قبل الاسلام وقبل النصرانية ، بطبيعة الحال ، فليس إذن

من مبرر لزعم ، ان المقصود بكلمة « العربي » ، المسلم العربي ، دون المسيحي العربي ، فقول مثل هذا ، ينافي العقل والتاريخ والحقيقة والواقع .

منظر من المغرب العربي

وهم

•

س — ٢٥ — من اين جاء هذا الوهم ، لبعض العرب ، من ان كلمة « العربي » معناها المسلم ؟

ج — — لقد جاء هذا الوهم بصورة عامة من الامور التالية :

اولا — الجهل بتاريخ الامة العربية .

ثانياً — مفاسد بعض الدول الاجنبية في بلاد العرب .

ثالثاً — تعاليم الارساليات الاجنبية .

رابعاً — سوء تصرف بعض العرب المسلمين غير المسؤولين وبعض المسلمين المسؤولين ، غير العرب ، في عصر جهل وغفلة .

وقد يكون في جملة الاسباب الكثيرة ، للجهل بتاريخ العرب، هذه الاسباب المعروفة من الكثيرين منا، سبب اساسي، هو انصراف المؤرخين العرب ، بعد الاسلام ، عن تاريخ العرب قبل الاسلام . وتجنبهم الاشادة بالدول العربية والمدنية العربية ، التي قامت قبل الاسلام وقبل النصرانية .

جاء الاسلام على يد عربي ، كان يتيما مغموراً ، فما لبث ان

جعلت منه اعماله وتعاليمه، بواسطة الاسلام ، رجلاً فوق البشر، يُذكر اسمه وحده من بين البشر جميعاً مع اسم الله . وتدفقت انوار الدين الجديد ، بواسطة العرب على العالم اجمع . وكأنما كان العرب مهيئين ، لا ينقصهم الا هذه الهداية ، ليفتحوا الفتوح ويؤسسوا الدول ، وينشروا في الدنيا العلم والحضارة والمدنية والعدل ومكارم الأخلاق. فعجب مؤرخو العرب لهذا الحدث العظيم .وتناسوا ما كان للعرب من قبل، من دول ومن مدنية . وقد يكون خطر لهم ،انه من الوفاء للعهد الجديد ، ان يُبدأ به في التأريخ للامة العربية ، لا سيما وقد كانت مرّت برهة من الزمن ، على العرب قبيل الاسلام ، وهم في غفلة وجهل وتضعضع . وهي البرهة الفاصلة بين المدنية العربية الاولى ، والمدنية العربية الثانية .والتي اتفقوا على تسميتها بـ « الجاهلية» . من دون ان يحددوا بدايتها ، وقد حددوا نهايتها برسالة المصلح الاعظم .

وقد يكون خطر لهم كذلك ، ان الكلام على انوار المدنية الاولى ، قد يقلّل من شأن انوار المدنية الثانية هذه . وانها لنظرية خاطئة من الاساس في نظرنا . ثم ماذا على القمر من ضوء النجوم ! وماذا على الشمس من ضوء الكهرباء !!

ومهما يكن من امر ، فان الضرر الذي الحقه بنا هؤلاء المؤرخون ، ضرر كبير جداً ، سواء أصح ما استنتجناه ، من ان هذه النظرية التي اشرنا اليها ، هي التي صرفتهم عن ماضي

العرب قبل الاسلام ، ام كان السبب غير ذلك . فانهم حرمونا من جزء كبير من تراثنا القومي ،المدفونة اخباره في صدورهم ، وفي سهول الجزيرة وجبالها – ولا سيما في اليمن — عسى ان يقيّض الله لنا من امرنا ما يوفقنا الى اكمال البحث والتنقيب عن آثارنا القديمة التي بدأ الاجانب يكشفون عنها النقـــاب [1] ، –وسيقيض لنا هذا ان شئنا . فلما جاءت الارساليات الاجنبية ، وكلها — وليس اكثرها — دينية وسياسية ، دينية عن هوس ، وسياسية تتستر بالدين عن خبث ومكر ، اخذت تنشر فيما تنشره من السموم مع نشرها العلم ، هذه الدعاية ، او ما هو في معناها : (ان العرب نهضوا في القرن السابع للميلاد [2] بعد ان دانوا بالاسلام . وقد اثارهم النبي محمد (ص) وأسسوا بعد موته مُلكاً وهم مسلمون ، فالذين لم يدينوا بالاسلام ، لا تعنيهم العروبة في شيء ، وليس لهم من مفاخر العروبة من شيء — هذا اذا هم اعترفوا بما للعروبة من مفاخر — فنهضـــة العرب اذن ، تعني المسلمين العرب فقط ...)

كلام كله مغالطة وتخبيص وتضليل وسموم . ومن هنا جاء الوهم بان كلمة « العربي » معناها المسلم . وقد ساعد على نشر

---

(١) اول من خطر له التنقيب عن اثار العرب في اليمن – حضرموت – عالم الماني اسمه « نخاياس » توفي سنة ١٧٩١ ، وقد الف بعثة لهذا الغرض سنة ١٧٦١ بتشجيع من ملك الدغرك « فريدريك » .

(٢) وكانوا وما يزالون يقللون من شأن هذه النهضة ونتائجها .

هذه الدعاية الخبيثة ، الجهل بتاريخ العرب كما قدمنا ، — هذا الجهل الذي من اسبابه الكبرى الارساليات نفسها — والتصرف السيء ، الذي كان يتصرفه ، في ادوار معيّنة ، بعض المسلمين العرب غير المسؤولين — ، على انه كثيراً ما كان يُردّ على هذا التصرف بمثله — والذي كان يستغله الاجانب وهم في عز صولتهم بشيء كثير من سوء النية وسوء القصد والى ابعد حد. يساعدهم ، في ذلك ، اجانب من المسلمين ، — والاجانب في نظرنا سواء ، مع تفاوت في المقدرة والتصميم على الايذاء — لكي يزيدوا في التفرقة بين ابناء الامة العربية الواحدة ، فيسهل عليهم ان يسودوا هذه الامة ، بمسلميها ومسيحييها .

وبقيت هذه العوامل الاربعة : (الجهل بتاريخ الامة العربية ، ومفاسد بعض الدول الغربية والشرقية ، وتعاليم الارساليات الاجنبية ، واستغلال المفسدين سوء التصرف القديم) الواقع منه والمزعوم ، — والذي كان يمكن ان يزول اثره لولا هؤلاء — تعمل عملها زمناً طويلا ، ثم اخذ يخف تأثيرها ، رويداً رويداً ، بواسطة انتشار العلم ومنطق الحوادث ، الى ان نشطت من جديد بعد الحرب العالمية الكبرى ، واستفحل امرها ، فتنبه لها القوميون العرب ، من يدينون منهم بالاسلام وبالمسيحية ، وحاربوها في لين حيناً ، واحياناً في عنف . وما يزالون يحاربونها . وقد صمموا ان يقضوا عليها ، وسيفعلون ان شاء الله.

ليست إسلامية ولا شرقية

وان تكن تتصل بالشرق وبالاسلام

●

تعوّد بعض الكتاب والباحثين في معرض الكلام على الاقطار العربية ، سواء أكان الموضوع اجتماعياً ، ام ثقافياً ، ام اقتصادياً ، ام سياسياً ، ان يخلطوا بين القضية العربية وبين ما يسمونه القضية الشرقية ، وبينها وبين ما يسمونه القضية الاسلامية ، فيذكرون الجامعة الاسلامية ، ثم لا يفرقون بينها وبين الجامعة العربية ... وفرق بين الجامعتين كبير. واكثر ما يقع هذا لبعض اخواننا المصريين. وقد لاحظنا انه كثيراً ما يقع لبعض اصحاب الشأن والوزن من الكتاب والباحثين فيهم ، حتى ولبعض اصحاب الشأن والوزن من رجال السياسة ايضاً . وانه لامر مؤسف حقاً ، قد يصوّرنا لدى الاجانب ولدى الشعوبيين وضعيفي الايمان من العرب انفسهم ، اننا لا نعرف ما نريد. او اننا لا نحس احساساً قومياً ، فلا نفرّق بين جامعة اسلامية ، وجامعة عربية . والحقيقة والواقع غير هذا . وإن هي

الا غفلة فيما نعتقد ، تعرض للذين ليست الشؤون القومية الصرف من اختصاصهم . او بكلمة اوضح ، ليسوا من اصحاب الايمان في القومية العربية . وقد يكونون من اصحاب النظر المضطرب ، في مسألة نشوء امة وانشاء دولة . وقد يتنبهون الى هذا الخطأ — اذا هم نبهوا اليه — ويعودون عنه [1] .

خذ مثلاً ما يرد على السنة البعض واقلامهم في مصر من هذا القبيل . كأن يقولوا : مصر واخواتها الشرقيات ! يعنون بالاخوات الشرقيات : (الشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية) ، ويبالغ بعضهم فيقول ، بدلا من الاقطار العربية ، اقطار العربية ... فيشوّه وجه الحقيقة هنا عامداً او غافلا لا فرق . اذ يصبح المعنى ، الاقطار التي تتكلم العربية وليست بعربية [1] . كأنما هم يريدون ان يخرجوا مصر من عداد

«١» نعتقد انه قد بدأ دور هذا التنبّه ، وتجاوزه الى اكثر من ذلك . ونقول مرة اخرى اننا كتبنا هذا الكتاب منذ سنوات . ولم نجب ان نغير فيه شيئاً ليبقى كما قلنا ، صورة ناطقة صحيحة عن الحالة العامة يومذاك في الوطن العربي كله على اختلاف اقطاره ، وعما كان يضطرب في نفسنا وفي فكرنا من دون اي تبديل .

(١) اذا نحن قابلنا هذه الاقوال بما يقوله الاستاذ جورج انطونيوس في كتابه القيّم « يقظة العرب » الذي وضعه بالانكليزية ، تبين لنا في جلاء وجه المرض ، او وجه الغفلة في نفوس اصحاب هذه الاقوال ، وانه من الطبيعي ان نأسف ونتألم لغفلتهم هذه . يقول الاستاذ انطونيوس في كتابه المذكور وهو كتاب شهد له كل من قرأه انه بالغ منتهى التحقيق والتمحيص ما معناه : (ان العالم العربي كان يشمل في القرون الوسطى — عدا الاقطار

هذه الاقطار ، بينما يزعم بعضهم سراً او علانية ، ان مصر زعيمة الاقطار العربية [٢] . وما أدري كيف يوفّقون بين هذه العقلية وبين زعمهم هذا. ومثلا آخر ، كأن يقولوا : الجامعة الاسلامية تقتضي كذا ... ووجه الصعوبة في تحقيقها كذا ... وهم في معرض الكلام على العرب والاقطار العربية ، — بينما ليس فينا من يبحث عن هذه الجامعة ويُعنى بها ، فنحن في حاجة الى العناية بالجامعة العربية ، واستقلال العرب ، ومستقبل العرب — وهذا مزج غير موفق ، ينكره العلم وتنكره القومية في مثل عصرنا هذا ، عصر العلم وعصر القوميات .

وما ادري ماذا يُبقي هذا البعض من اخواننا المصريين لايران مثلا والافغان وتركيا ، وغيرهن من الامم الشرقية ، حينما يُعرّفون الشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار

العربية المعروفة اليوم — العجم وتركيا واسبانيا وايطاليا وفرنسا . وان الاقطار العربية الصرف ، والتي لا تزال عربية حتى الان هي : الشام ، والعراق ، والحجاز ، ونجد ، واليمن ، ومصر والسودان وطرابلس ، وتونس ومراكش والجزائر) .

(٢) اذا آمنت مصر كما ينبغي لها بالقومية العربية — ومن غير الطبيعي ان لا تؤمن — لن يصعب عليها ان تتزعم الاقطار العربية . ففي مصر علم وعمران ، وفيها كثرة عدد ووفرة غنى . ومصر بعد ، وطن محمد علي الكبير الذي فكر قبل غيره بالوطن العربي والوحدة العربية ، منذ اكثر من مائة سنة ، وكاد يوفق الى تحقيق فكرته لولا امور يذكرها الذين يشاء ربك ان تنفعهم الذكرى ....

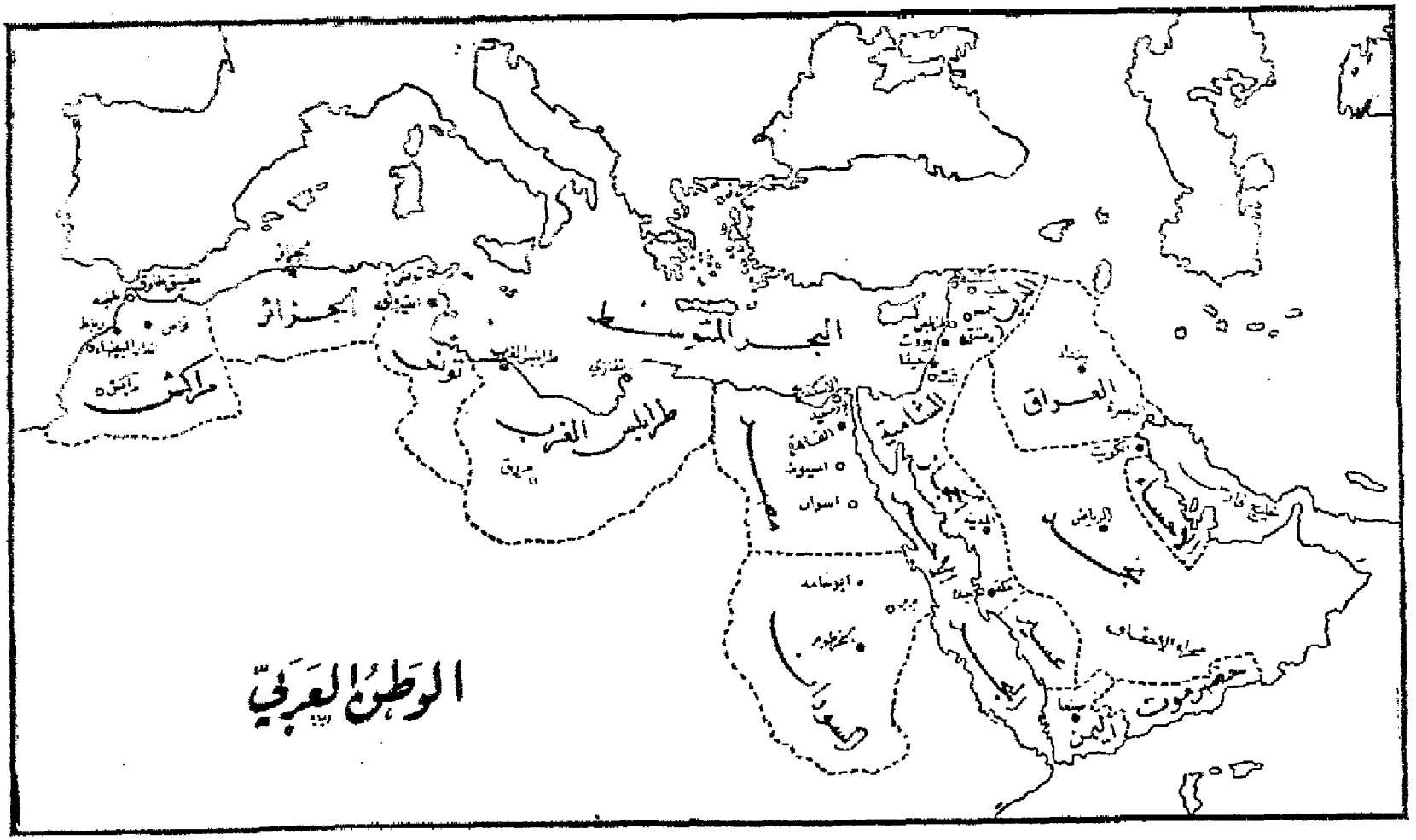
الوطن العربي
البحر المتوسط
الجزائر
مراكش
طرابلس الغرب
تونس
العراق
الشام
القاهرة
اسيوط
اسوان
الرياض
حضرموت
اليمن
عمان
الكويت
بيروت
دمشق
بغداد
الخرطوم
ابوحامد
بنغازي
مرسى مطروح

العربية بقولهم : (اخوات مصر الشرقيات) ام ان اخواننا هؤلاء، لا يرون فرقاً بين ما يربطهم من روابط، بايران وافغان وتركيا ، وبين ما يربطهم من روابط بالشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية !!

اذا كان الامر كذلك ، فتكون مصيبتنا بعضنا بالبعض الآخر ، اشد مما قد يخطر في بال بعض المفكرين ، انها تكون مصيبة ممثلة في مرض يتصل رأساً بالفهم وبالروح ، فينتج هذا الضلال البعيد في التفكير ، والحكم ، والاتجاه والتوجيه .

انا مصر قطر من الاقطار العربية ليس غير ، والاقطار العربية مجتمعة جزء من الشرق .

ان « قضية العرب » قضية عربية ليس إلا . ليست اسلامية ولا شرقية ، بيد اننا لا ننكر ولعله ليس من العقل ولا من العلم ولا من الخير ، ان ننكر انها تتصل بالاسلام وبالشرق . على انه من الضروري جداً — لكي تنتفع القضية من هذا الاتصال المنفعة المرجوّة — ان نفهم فهماً صحيحاً نوع هذا الاتصال ومداه .

تتصل « قضية العرب » بالشرق ، على اعتبار ان العرب شرقيون ، وعلى اعتبار انهم كانوا اصحاب هذا الشرق قروناً طويلة، فأثروا فيه وتأثروا به ولا يمنع زوال هذا السلطان ، استمرار تشابك المصالح وتبادل المنافع ، بين الامة العربية وبين بقية الامم في الشرق . فاذا قيل ان العالم كله اليوم :

الشرق والغرب ، متصل بعضه بالبعض الآخر ، وانه متشابكة مصالحه ، متبادلة منافعه ، بالنظر الى نوع المواصلات وادوات الحضارة والمدنية المتعددة المتنوعة ، قلنا ان هذا صحيح ، وانه قول يقوم حجة لنا وليس علينا . لا سيما وهناك هذا الشيء من التشابه في العقلية والروحانية بين العرب وبين بقية اهل الشرق. على ان هذا الاتصال ينبغي ان يُفهم منه انه اتصال لقضيـــة العرب مجتمعة غير مجزأة ، او للامة العربية موحّدة، على اعتبار انها « كل » لا يتجزأ ، بالامم الشرقية ، كل امة على حدة، وعلى اعتبار ان كل امة منها مجتمعـة « كل » لا يتجزأ . ولا يزيـد اتصال «قضية العرب » بقضية اية امة شرقية ، عن اتصال قضية اية امة شرقية بقضية العرب، او باية قضية لاية امة من امم الشرق.

وليس من العقل ، ولا من المنطق ، ولا من الكرامة، ولا من المصلحة ان تُذيب اقطار العرب مفككة ، شخصيتها في دنيا الشرق ، ناسياً كل قطر دنياه الخاصة – الدنيا العربية – . ثم انه يجب ان لا ننسى ان قضيتنا تتصل بالغرب الى حد ، اتصالا من الحكمة ان لا نتعامى عنـــه . وان الوطن العربي اقرب جغرافياً الى بعض البلدان الغربية منه الى بلدان كثيرة شرقية. وقضية مصر انما هي عند العاقل الصحيح التفكير ، البعيـــد النظر ، جزء من « قضية العرب » العامة ، لا يمكن ان تكون قضية تامة بنفسها ، مستقلة عن القضية العربية الكبرى استقلالا تاماً . واذا كان يخطر لناس انها كذلك ، وانها تعيش على هذا

الاساس ، فمن الخير ان نذكّر هذا الناس ، بان حياتها تكون حياة موقتة وغير طبيعية ، وكل ما هو غير طبيعي لا يدوم . واخوات مصر اذن ، كالشام والعراق والحجاز وغيرهن من مثلهن ، هنّ اخوات مصر العربيات وليس الشرقيات . فحينما يريد انسان ان يعرّف ابن عم له مثلا ، الى انسان ما ، من المفروض ان يقول : فلان ابن عمي ، وتجمعنا مدينة واحدة ، اذا شاء ان يزيد ، اي ونسكن مدينة واحدة ، ولا يقول (فلان ابن بلدنا ...) متناسياً صلة القربى . « فالشرقية » تجمع اموماً كثيرة ، وهكذا « الغربية » ما اكثر ما تجمع من امم . ولكل امة تامة ، سواء أكانت في الشرق ام في الغرب شخصيتها الجامعة المميزة . وقضيتها العامة (الخاصة) ، ما تتصل بغيرها الا بمقدار . ولا يصح هذا الاتصال كما قدّمنا للـ « جزء » منفصلا ، دون الـ « كل » . وانما يصح لـ « كل » بـ « كل » اخر .

وتتصل « قضية العرب » بالاسلام اتصالا في الواقع وثيقاً ، ولكن حذار ان يُفهم من ذلك انها قضية اسلامية . تتصل « قضية العرب » بالاسلام ، على اعتبار ان الاسلام دين عربي ، تبع فيه الناسُ العربَ ولم يتبعوا هم احداً . رافقته العروبة بعد ان بعثها على وجهها الصحيح ، وفي روعتها الجليلة المحسنة الى كل بلد . وطبعت بطابعها من آثاره العظيمة في عالمي الروح والمادة كل اثر .

لقد جاء الاسلامُ العربَ على يد رجل منهم . وكانوا يومئذ

قبائل متفرقة ، متناحرة ، يفتك في القسم الاكبر منها الجهل والفقر والفساد والفوضى ، ويمزّق بعضها بعضاً ، في لا شيء ، ومن اجل لا شيء، سادرةً في حياتها تلك، لا يحدوها امل رفيع. ولا يهزّ نفوسها مثل أعـــلى . حتى اذا جاءها الرسول العربي الامين بالاسلام – قرآنا عربيا خالصاً – جاءها الهدى فاهتدت. وخلقت منها النُظُم الروحية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شرعها الدين العربي الحنيف – أمة – ما كانت لتغدو كذلك ، بالمعنى المفهوم الكامل من كلمة امة ، لولا هذه النُظُم . وبكلمة اجمع لولا الاسلام . الاسلام ، الذي أثّر في نفوس العرب تأثيراً عجيباً ، لم يقتصر عـلى الذين دانوا به منهم ، بل تناولهم جميعاً .

وان الوثبة العجيبة التي وثبها العرب في القرن السابع بعد المسيح ، فقضت على تلك الحياة الجاهلة الجامدة ، الباردة الجافة المتفسخة ، التي كانوا يحيونها ، ودكت معالم الوثنية في الجزيرة ، وما وراء الجزيرة ، وفتحت امامهم افاقا واسعـــة ، فراحوا يقضون عـــلى الامبراطورية الفـارسية ، والامبراطورية الرومانية ، ويشيدون عـلى انقاضها ملكا واسعاً شاسعاً ضخما قويا ، يزدهر بشتى العلوم والمعارف ، ومختلف الوان الحضارة العالية والعمران ، ويقوم منارة للهدى والعـــدل ومكارم الاخلاق في اسية وافريقية ، واوربة ، ان تلك الوثبة العجيبة التي تبدو من « الحوادث الخارقة في التاريخ ، والتي يكاد المرء

لا يجد لها تعليلا في القوانين الاجتماعية ونظم الحياة » ، يجد لها علماء التاريخ والاجتماع تعليلا في الدين العربي : « الاسلام » . هذا الدين السمح وما تركه من اثار في نفوس الشعوب والقبائل العربية التي خلق منها هذه الامة ، تأتي بالمدهشات[1] . ومع هذا هل يصح ان تكون « قضية العرب » قضية اسلامية ؟ نستطيع ان نجيب من دون تردد وفي اقتناع ويقين : (لا) . ان هذا كله لا يجعل من « قضية العرب » قضية اسلامية . ففي العرب مسلمون وغير مسلمين[2] . وان الدين غير القومية . انه شيء والقومية شيء آخر . والا لوجب ان يكون كل مسلم على وجه الارض عربياً لانه مسلم[3] . وان يكون المسيحيون كلهم

---

(١) يقول « جيبون » ان في عبقرية النبي العربي ، وفي خلال امته وروح دينه ، اسباب انحلال الدولة الشرقية وسقوطها ـ اي اسباب وثبة العرب العجيبة ـ وانشاء العرب ذلك الملك العظيم والدول الزاهرة . « مواقف حاسمة في الاسلام ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) حتى ولو كان العرب كلهم مسلمين ، ان تكون « قضية العرب » قضية اسلامية . لان العربي فخور قبل كل شيء باصله وقومه ، ومفطور على الزهو والتيه بهذا الاصل وهذا القوم على الناس جميعاً . وهذه قضية الترك ، والترك كلهم مسلمون ، ليست قضية اسلامية . وقضية العجم ، والعجم كلهم مسلمون ، ليست قضية اسلامية . انها قضايا قومية صرف . وقضية العرب قومية قبل غيرها من قضايا الامم . وقد يصح العكس فتكون قضية الاسلام قضية عربية ولا يعكس . . .

(٣) لعل في هذا وحده ، اي في ان يصبح كل مسلم على وجه الارض عربياً ، وجهاً من وجوه تحقيق رسالة الاسلام وخيرا عميما لا يعادله خير .

على وجه الارض ابناء قوميـــة واحدة لانهم مسيحيون ، وهذا مستحيل .

ولو كانت « قضية العرب » قضية اسلامية ، لتساوى في نظر المسلمين من العرب ، المسلمون في الدنيا جميعاً ، وليس الامر كذلك . وأحسبُ انه لن يكون كذلك ابداً ، ما دام الانسان مفطوراً على المفاخرة باصله وقومه ، وما دام لكل قوم خصائصهم ومميزاتهم . وكلما ارتقت امم الدنيا علمياً وعقلياً واجتماعيـــاً ، وضحت الفروق بين القومية والدين .

وما الحروب الصليبية التي اشعلتها امم اوربا في القرون الوسطى ضد العرب ، فوضعت الاسلام في ناحية ، والنصرانية في ناحية اخرى ، الا صورة ، من صور الجهل — المقيت اشد المقت — بالدين والقومية ، احسب انه لن يبدو كما كان مرة اخرى ابداً . قد يقول البعض : ان في موقف اوربا الراقية من الشرق حتى اليوم ، شيئاً من ذلك الروح ، لم يمنع الرقي وجوده . قد يكون . بيدَ انهم لا يتنادون باسمه — كما كانوا يفعلون — ويخجلون من التصريح به ، وليس مردّ هذا الا الى الرقي العقلي والعلمي والاجتماعي عندهم ، رغم كل ما يفعلون ، ويزيدنا هذا يقيناً بان الفروق بين القومية والدين ، تزداد وضوحاً من جيل الى جيل .

لبنان ١٩٣٩ — ١٩٤٢